

في انتظار السجان

قصة بقلم محمد نضر

الباب موصد ،
منذ زمن .. ولا ادري كم مضى علي هنا .. لانسي فقدت كل
حساب للزمن .. وصار قياس الزمن عندي خطوات السجان وهي
تقترب وتبتعد .

الفرفة مشوشة .. واللاهيب يسمع اطرافي فتتوهج قدمي وكان
الحريق ينتقل الي دمي .
احسست بالصيق يعتريني .. الزاد اوشك على النفاد والماء
يكاد يجف .

اريد ان اخرج . بدأت اتململ بصيق كائني احسه لأول مرة ..
اريد ان اخرج . ناديت بلهجة آمرة اين الحارس - اريد ان
اخرج .

ولكن من هو الحارس .. لا ادري ؟ تساءلت في نفسي !!
رغم طول اقامتي في هذا المكان ، لم ار وجه الحارس . انسي
اسمع صوت مفاتيحه ، حين يقترب مني ، تدق في انسجام روتيني
ممل مع وقع خطاه . ثم ينقطع الصوت فجأة .. وعندها يولول المفتاح
داخل القفل . وتطل الظلمة .. ومعها يقذف لي بالماء والزاد .
لم اشعر قبل هذا اليوم برغبة في معرفته بل لم اكن اعنسى
بوجوده .. لم أعبأ مطلقا ان كان في الواقع انسانا حقيقيا ام شيئا
من اشباح الظلام .

كنت دائما منهمة في اعداد شيء للزمن .. فحين تأتي ساعة
الفران وتطلق ابواب السجن على مصاريها سيكون لي شأن اخر ..
ولكن لا !! تبدو ساعة الفران هذه بعيدة . لا تزال تكمن في مجاهل
الظلمة التي تطل علي كلما فتح السجان الباب الملق .
« اريد ان اخرج .. افتحوا لي الباب » صرخت ثانية ، وما
من مجيب « اين السجان .. اريد السجان » . ربما ذهب بعض
الوقت وسيعود قريبا بل سيعود حتما .. وسأخرج من السجن ..
كما دخلته بمشيئتي انا . سأنتظر السجان .. وحين اسمع وقع
خطواته الميتة سأسأله ان يوصلني بعالم البشر عن طريق كلمة يقولها
وسأمره ان يخرج عن صمته المطبق .

الشباك .. المنفذ الوحيد الذي يحمل الي الريح واصوات الطيور
ومضات النجوم البعيدة .. ويدخل الي لسات الاقمار الباردة ..
ما اشد تسارع الشهور والشهور .
الشجرة الوحيدة .. تقف امامي من وراء النافذة عارية . لا ورق
ولا خضرة . منذ سنين وهذه الشجرة ماوى تحط عليه الفران واليوم
عند الغروب ووقت الشروق تصفعاها الريح الباردة وتشد عليها نسائم
الصيف القاتك .

منذ سنين وهي روح عارية .. تصارع الحياة . لم تعد تخشى
شيئا لانها فقدت كل ما لديها من رواء يتغلغل في كل نبات الارض .
اصبحت جرداء كالصبير يقاوم الشمس والتوحد .
صوت الصخب يأتيني من خلف تلك الجدران العالية .. هناك
حيث تكمن الحياة ويلهو الاحياء بعيدا عن هذه العزلة الخرساء . من
هناك اسمع صوت اللهو والعبث ينطلق مثقلا بعنف الدماء الطائفة
بالهجة .

والشجرة صماء كهيكل متكسر وسط عريشة الفل .
دبت الحياة .. فجأة .. في روح صغيرة عذبة تتسلق الساق

السلوخ . طفل شقي . احد الاصوات الحية المنبعثة من وراء الجدار .
اخذا يحتضن الموت بذراعيه الصغيرتين ويدفع بساقيه الفضتين كي
يصل الي القمة المشروخة .
وسرت منه نفحة في دمي . الهبت اعصابي وبقيت انظر بقلب
مضطرب . وعينا ترقيبان مصير الصغير في غمرة تحركانه الطفولية .
اردت ان اصرخ به . لاقفنه عند هذا الحد فلاموت سلطان
على الحياة . ولكن ثمة امل اوقفني . فربما تكون الغلبة للحياة ..
في هذه المرة على الاقل .

زلت قدم الطفل .. وندت عنه صرخات عنيفة ولكنه ظل متشبثا
بالعرق الباس . وجدت نفسي كالقط السجين اقفز نحو النافذة ..
واهرع صوب الباب . اصرخ تارة - واضرب نفسي اخرى ورحمت
ابحث عن صوتي . جف صوتي من هول اضطرابي - ثم تمكنت من
الصراخ . جاء صوتي مندويا : السجان . اين السجان . اتوسل اليك
ان تنفذ الطفل . ابقيني طوال عمري - وانفذ الطفل « .
ثم عاد لي الصوت . في صدى منقطع . اسرعت ثانية نحو
النافذة . والطفل لا يزال يتأرجح بين الموت والحياة . صراخه ينضح
بالاسم .
امسكت بالقضبان . اود لو اكسرهما بيدي ، باسباني . واضربها
بقبضتي ثم اعود ادعو السماء ان تنفذ الطفل بمجزأة .
لحظات . ثم سقط الطفل . كثرمة ناضجة اهمل قطافها . سقط
فوق اكوام التراب والصخور المتكسرة مضرجا بدمائه الطيبة . فاقد
الوعي .
سقط خلف السور . تحت اقدام الشجرة الميتة - حيث السجن
الكبير .
الفروب - يمتطي على اجنحة الفيوم الوردية - فهي تتجمع في
اثر بعض وتحفن السماء بدم النهار الساذج ثم تحيلها الي كتلة رمادية
تهبت شيئا فشيئا حتى يذوب الوجود في اثر النهار . وتعمى الابصار .
وتختفي الالوان .. وتفزع الطيور .
الطفل ينزف في صمت مقبور .
والشجرة كتلة ثابتة كسر مكشوف ، تحتل مكانها في الظلمة .
حتى الظلمة لا تقتلها .
الابعاد تختفي - لا اعود ارى غير ستار اسود يفلق في وجهي
المنفذ الوحيد الذي اتطلع فيه نحو السماء .
وخمدت انفاس الطفل . فانتهت كل صلة لي بعالم الاحياء .
اكاد اخنق .. اين السجان .. طال انتظاري ولم اعد ارى غير
الظلمة والعزلة : « النجدة . النجدة اخرجوني من هنا » .
« اخرجوني من هنا » . عاذني الصوت ثانية يتدفق بنفس
العنفوان . ويبعد نفس الكلمات .
عبث اذن صراخي . والسجان لن يأتي . فزورته لي مسرة بين
احايين طويلة متطاولة . يجلب لي الزاد والماء ويهرب في الظلام من
غير ان اراه او اسمع صوته .
تري مني يأتي الحين القادم ؟ ومتى جاء السجان اخر مرة ؟
اكاد لا اذكر . بل لا ادري لانني فقدت حساب الزمن .
فقدت حساب الزمن . ما اشد ندمي . ها انذا احس باهميته
والعن اللحظة التي وضعت بها نفسي في يد السجان .

من هو السجان ؟

هل هناك سجان !! ام هو وهم اخر كالزمان والحياة والاشواق .
الجدران تضيق . تسيير نحوي ببطء . كل شيء سواي يتحرك
فوق هذه الارض . حتى الحجر . لم يعد لدي موطن قدم اكثر من
مساحة جسمي . بدأت احس بحركة الجدران الجزئية . وهي تخطو
نحوي في كل عام . تتحرك ، كالسجان ، مرة خلال ما يبدو لي انعام .
هل انا في قبر . وهل اشم رائحة التراب العفنة . اجل فالرطوبة
تعصر بدني .

لم يأت السجان . كم مضى علي من الوقت ؟ مرآة اريد مرآة .
لارى كم هرمت . لاقيس من نفضات وجهي مقدار الساعات والايام
التي عشتها .

اريد ان اخرج . ازداد صراخي . بشكل يفارب النحيب - وما
من جواب - حتى الصدى صمت . لا السجان يسمع ولا الصدى يرد .
« اريد الخروج - ايها السجان - صرخت بصوت قوي - كعويل
النساء في ساعات الموت . فهل اصبت بالصمم »
صوتي رغم قوته لا يصل اذني ، شفاهي تتحرك تحركات مشاويل ،
فتتساقط والكلمات حال تكونها .

لا . لن يتركني السجان . فسأنتظره . انه آت - لا بد . ماذا
اسمع ؟ انني اسمع رنين المانيخ مليئا كصوت الاطفال . انني اسمع
وقع خطوات الحبيبة . يا سجاني الرقيق .
ساناديه كأغذب ما تكون النادة - ساجنب ردن قهيمه ...
وانمسح بقدميه .. ساطلب منه المفرة عندما يفتح باب السجن .
سادخل الى كوة الطيبة الصغيرة في نفسه وليكن حجمها كحجم غرفتي
الى العالم . المفتاح يولول في القفل ...
والعتمة تفزو العتمة .

انني لا ارى غير اشباح . وهممة تجول في الظلمة . السجان
يكلمني - ولكنه كلام مبهم . اجل يا رفيقي المنتظر . قل ما تشاء .

وانفندي . اريد ان اخرج .

غير اني لا اسمع غير صدى كلماته المبهمة تتدحرج في مسار
الظلمة .

« لا تتركني . اتوسل اليك - قل لي اين انت - ومن انت » .
واغلق الباب ثانية .. ومددت ذراعي في عنفوان لهفتي .. اود
لو امسك الطيف المجهول فسقطت علي اكياس ثلاثة يا سجاني الحبيب
.. لم تخب لي ظنا اذن . فها انت تترك لي املا .

وتطلعت نحو الاكياس . انها مليئة ككنوز سليمان ، كيف السبيل
الى فتحها ؟

انشبت اظفاري الحيوانية في العقدة الكبيرة . ومزقتها ما
استطعت باسنانني واصابعي حتى سال الدم منها .

وفتحت الكيس الاول . فبدا لي الصبير باشواكه النابتة ولونه
المائل .

ومزقت الثاني - احاول بكل جهدي ان اصل الى عمق الحقيقة .
فجاءني الصبير .

وانكفأت على الثالث . وقد اخذ مني الاعياء ما اخذ - لا يجب ان
يكون هنا . وانزلت دموعي ودمائي تتوسل فسي الم مبرح ان يكون
ثمة امل .

وكان الصبير .. ايضا الشموك - عاريا كالشجرة العارية في
الظلام .

هدأت نفسي .. ليس ثمة امل يرتجى .. الباب موصل والجدران
تضيق ورائحة التراب العفنة تملأ صدري والظلام اوغل في مقلتي -
والطفل ينام في بركة الدماء والطين .

تراخت اطرافي .. واخذني النعاس من الرطوبة المنبعثة من
الدم والدموع . فقفوت فوق هدية الاشواك .

مي مظفر

بغداد

صدر حديثاً عن دار صادر

ليرة لبنانية

- | | |
|----|--|
| ٤ | ثورة في عالم الانسان : الاستاذ كمال جنبلاط |
| ١٥ | المصطلح : معجم انكليزي - عربي للمفردات العلمية والفنية : تأليف حسن السعمران |
| ٧ | ديوان فيس بن الخطيم : تحقيق الدكتور ناصر الدين الاسد |
| ٧ | ديوان ابن سهل الاندلسي : عن مخطوطة مغربية لابن الدهان |
| ٦ | ديوان الحطيئة : شرح ابي سعيد السكري |
| ١٠ | ديوان بسط ابن التعاويذي : تحقيق مرجليوث |
| ٥ | ديوان لبيد بن ربيعة العامري |
| ٥ | الشعر العربي في المهجر : الدكتور محمد يوسف نجم والدكتور احسان عباس |
| ١٦ | الشعر والشعراء : لابن قتيبة عن طبعة ليدن |
| ١٦ | ادب الكاتب : لابن قتيبة عن طبعة ليدن |
| ٤ | عهد اردشير : تحقيق الدكتور احسان عباس |
| ٢ | غناء العناكب : مجموعة قصص المائسة حديثة ترجمة مصطفى ماهر وفؤاد رفقة ومجدي يوسف |

وسمير التنداوي

٣ قصص المائسة حديثة : ترجمة مصطفى ماهر ، فؤاد رفقة ، مجدي يوسف

٦ الفن الاسلامي : ترجمة الدكتور احمد موسى

٣٠٠ تاج العروس جزء ١٠ قماش : للزبيدي

٦ كلمة الرسول الاعظم : السيد حسن الشيرازي

الناشر : دار صادر - ص . ب ١٠ بيروت

بناية خاتون شارع مار منصور